MUDALLA : PROCEEDING INTERNATIONAL CONFERENCE ON ARABIC LANGUAGE
ISSN : 2807-8780
(MUDALLA) المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها وتعليمها
قسم الأدب العربي جامعة مالانج الحكومية

# دور الخطاطين المجودين الرواد الأوائل في تقعيد جماليات الخط العربي: دراسة تاريخية

دعاء بنت محمد داود الأشعري

الجامعة الماليزية التكنلوجية/ أكاديمية الحضارة الإسلامية

البريد الإلكتروني: duaaalashari@gmail.com

## مستخلص البحث

ظهر الخط العربي قديماً على أيدي الخطاطين في أقطار عربيةً وإسلاميةً، وهؤلاء الخطاطون كان لهم دوراً بارزًا وفعالاً في تجويد وتحسين وتجميل الخط بل وحتى التفنن في أوضاعه وتراكيبه، وإن أشهر مجودي الخط المتفننين الأوائل الذين تفردوا بالخط، قد نشأوا في بغداد، ومنها برعوا بخطوطهم. ونظراً لما بذلوه من جهودٍ مضنية للارتقاء بجوة وبجمالية الخط العربي فأن هؤلاءِ الخطاطين خدموا الخط العربي وتفننوا في تراكيب وتجميل أوضاعه. لذا فالهدف من هذه الدراسة هو عرض ترجمة لحياة رواد القاعدة البغدادية في الخط العربي الذين ساهموا في المحافظة على تراث الأمة الإسلامية وبذلوا قُصار جُهدهم ليصبح فن الخط العربي أحد أهم فنون العالم جمالاً وكمالاً. وأيضاً تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بدور الخطاطين الرواد الأوائل في تقعيد وترسيخ جماليات الخط العربي. المنهج المستعان به في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي وذلك من خلال الحديث عن مسيرة أهم الرواد الأوائل الذين أرسوا قواعد وأصول جمالية الخط العربي. وطرق جمع البيانات هي المصادر التاريخية المعاصرةالماثلة في جملة الوثائق والكتب التي تتناول بين ثناياها الخط العربي و أبرز رواده. وتوصلت الدراسة إلى أن الخطاطين المجودين الرواد ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي كان لهم دور حيوي (معرفي وفني ووظيفي) في تقعيد وترسيخ بناء جمالية الشكل في الخط العربي على أساس النسبة الفاضلة. كما توصلت الدراسة بأن ابن المقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي من أبرز الخطاطين قديمًا في إتقان رسم قواعد الخط العربي بأسلوب فني تشكيلي يشهد لهم الزمان والمكان.

**الكلمات الرئيسية:** الخطاطين، الرواد، جماليات، الخط العربي، الحضارة الإسلامية

## المقدمة

تطور الخط العربي في العصر العباسي حيث أصبح الحرف عنصراً رئيساً في الزخرفة وتزين القباب والمساجد والمأذون والقصور، ويُعدُ إسحاق البربري مؤلف أول كتاب في الخط والكتابة وهو "تحفة الوامق" وأستاذ ابن مقلة الذي أُعتبر فاتح عهدٍ جديدٍ في تاريخ فن الخط العربي (درمان، ١٩٩٠م، ص ٢١). وبظهور أبو علي محمد بن مُقلة الوزير العباسي المشهور والذي ضبط الخط ووضع له مقاييس وقواعد ونسب فاضلة ذهبية ليُصبح الخط فناً وعلماً له ملامحه المميزة. كما أنه أخترع خط الثلث مما أعطى الخط نعومةً وانسيابيةً لا مثيل لها. ويؤكد مصطفى درمان (١٩٩٠م، ص٢١) "بأن ابن المقلة هو نقطة البداية عن جدارة في مرحلة جديدة في تاريخ الخط، وهو الذي وضع القواعد المهمة في تطوير الخط العربي". إن ابن المقلة نسب جميع الحروف إلى الألف التي اتخذها مقياساً وإليه نُسب الخط المنسوب، بمعنى الخط الذي تُنسب حُروفه إلى بعض بِنسب هندسيةٍ، وعلى هذا الأساس وضع ابن مقلة قانون الخط العربي وابتكر خط الثلث والنسخ ( ابن النديم، ١٩٦٤م، ص٩).

وممّا هو جدير بالذكر بأن الوزير ابن المُقلة أكمل ما بدأ به قطبة المحرر من تحويل الخط من شكله الكوفي إلى شكله اللين، إن ابن المقلة هو أول من هندس الحروف وضبط مقاسيها وأبعادها بالنُقط وهو من وضع النسبة الفاضلة للخط، ويقول إدوارد دروبرتسن "إن الخطاط ابن المقلة قد اخترع طريقة جديدة للقياس عن طريق النُقطة وجعل الريشة وحدة للقياس" (حنش، ١٩٩٠م،ص٤٥). ومن بعده يذكر التاريخ الخطاط العباسي علي بن هلال والمعروف بابن البواب وهو صاحب الخط المليح والإذهاب الفائق والذي يعتبر علمًا مميزاً من أعلام الخط العربي الخالدين عبر العصور ومن مفاخر العراق وهو الذي أقام الخط جمالية وخلّف بعده مدرسة تجرى على آثاره (الجبوري،١٩٩٨م،ص٨١). إن ابن البواب جمع ما قام به ابن مقلة في الثلث والنسخ وجودها ونقحها وأقام الخط على قواعد جمالية (الحموي، ١٩٠٠م، ص٤٤٥). فضلاً عن ذلك فلقد أسبغ ابن البواب على الخط الكثير من القيم الجمالية مع الحفاظ على قواعد وهندسة الخط. ثم تلاه ياقوت المستعصمي

الذي قام بترسيخ قواعد الخط في أواخر الدولة العباسية وبتجويد الأقلام الستة (الثلث والنسخ والمحقق والريحاني والتوقيع والرقاع) وامتازت هذه الأقلام بالرشاقة والدقة وسمي "بِقبلة الكتاب"، ولقد ذكر حسين بن ياسين (١٩٩٢م، ص ٣٩) في كتابة لمحة المختطف في صناعة خط السلف المراحل التي مرت بها الأقلام في الدولة العباسية قائلاً " أن الأقلام التي ظهرت في زمن الدولة العباسية وتطورت كانت تُلقب بالأقلام الستة والتي سماه بذلك ياقوت المستعصمي وهي الثلث والنسخ والمحقق والريحان والتوقيع والرقاع، والتي هي في ظاهر الأمر عبارة عن أربعة خطوط، فأما خط الثلث وخط النسخ فهي خطوط مستقلة لها كيانها الخاص، أما خط المحقق والريحان فهما عبارة عن خط واحد ولهما نفس الخصائص، وحتى قلم الرقاع والتوقيع، فلقد هذّب المستعصمي الأقلام الستة وجودها وضبط نسب حروفها واحكمها مما أدخل على كتاباته الترطيب والحركة وميزّها عمّا سبقها".

وخلاصة القول إن ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي يعتبروا أعلام ورواد الخط العربي، وأن لكل واحدًا منهم بصمة وأسلوبه الفني الخاص به في أعماله الخطية، وعلى هذا الأساس أصبح الخط العربي فناً وعلماً له ملامحه وبصمة الفريدة من نوعها بين الخطوط الأخرى وترسخت الأسس الفنية للخط العربي. إن المتتبع لتطور الخط في هذا العصر يجد أن الخطاطين المجودين الرواد قد بذلوا جهودًا عظيمةً في وضع قواعد الخطوط العربية وأن لكل خطٍ من هذه الخطوط طابعاً مميزًا يوحي بالجمال والإبداع، فالهدف الرئيس من هذه الدراسة هو عرض ترجمة لحياة رواد القاعدة البغدادية في الخط العربي من منطلق الاعتراف بما قدموه من جهود عظيمة في وضع قواعد الخطوط العربية وسماتها الجمالية.

## منهج البحث

المنهج المستعان به في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي وذلك من خلال استقراء تحليلي لمسيرة الخط العربي وتاريخية وأبرز رواد القاعدة البغدادية. استعانت الباحثة بالمنهج التاريخي في هذه الدراسة كمنهج وثائقي تستقري من خلاله الباحثة الوثائق التاريخية

الخاصة بالخط العربي بصفة عامة، وبصفة خاصة التي تلقي الضوء على الخطاطين المجودين الرواد، ومن ثم تقوم الباحثة بتحليل وتلخيص المعلومات والبيانات والمفاهيم الخاصة بموضوع الدراسة من منطلق استرداد الحدث التاريخي الخاص بالخط ورواده وبعثة حياً من جديد. وسوف تقوم الباحثة بدراسة تاريخية موجزة لخطاطين المدرسة البغدادية الذين كانوا نقطة بداية في مرحلة جديدة في تاريخ الخط. وسوف تقوم الباحثة بدراسة تاريخية تستقري معلوماتها عن طريق جمع البيانات من مصادرها الأولية الماثلة في الوثائق والكتب والمراجع التاريخية.

## عرض النتائج والمناقشة:

تؤكد معظم الروايات والوثائق التاريخية والعلمية الثابتة بأن التحول الجمالي والفني في الخط العربي قد أنجز في القرن الرابع الهجري على أيدي الخطاطين المجودين الرواد ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي. وسوف تعرض الباحثة في هذا الجانب ترجمة لحياة أعلام القاعدة البغدادية وأشهر روادها الذين عنوا بتجويد الخط وتفننوا بتجميل تراكيبه من جانب ومن جانب آخر سوف تقف الباحثة عند أبرز وأهم الجهود التي بذلوها هؤلاء الخطاطون في تعقيد وترسيخ القيم والأبعاد والمفاهيم الجمالية الكامنة ضمن ثنايا فن الخط العربي من منطلق أن الخط العربي هو رمز حضاري وجدناه يعظم بعظم الأمة وتمركز في أكبر عواصمها الإسلامية آنذاك وانتقل إلى بغداد أثناء الخلافة العباسية وتبوأ مكانة جوهرية حتى بلغ ذروة الأوج في الجمال والكمال ضمن شعب الفنون الإسلامية.

ومن أشهر الخطاطون قديماً هو الوزير ابن مُقلة، ويعتبر ابن المُقلة من رواد الخط العربي في العصر العباسي، اسمه أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة، ولد سنة ٢٧٢هـ، وهو بغدادي النشأة، مال إلى تعلم الأدب واللغة، كان لحسن وجمال خط ابن المقلة سبب رئيس في وصوله إلى منصب الوزارة حيث انخرط في سلك الموظفين الخاص بالدولة العباسية إلى أن تولى رئاسة الوزارة، ولقد تولاه ثلاث مرات، وكان آخر مرة تولى فيها رئاسة الوزارة أيام الخليفة الراضي بالله ٣٢٩-٣٢٢هـ الذي اعتبر الخطاط ابن مقلة المهندس الأول للخط العربي. وتذكر المصادر التاريخية أن الخليفة الراضي أعتقل ابن المقلة في حجرة

في دار الخلافة ومن ثم أمر وزيرة ابن رائق بقطع يد ابن المقلة. ويقول كمال البابا (١٩٩٤) " فأخذ ابن مقلة ينوح ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت القرآن الكريم دفعتين، تقطع يدي كما تقطع أيدي اللصوص". بيد أن ابن المقلة بعد هذه الحادثة لم يتوقف عن الكتابة حيث أخذ يشد القلم على ساعده الآخر ويكتب به حتى تمرنت وتدربت يده اليسرى على الكتابة، ولكن المصائب لم تقف عند هذا الحد بل أخذت تتوالى على ابن مقلة وهذه المرة كانت بأمر من الخليفة العباسي بقطع لسانه بعد أن قطع يده ثم قتل سنة ٣٢٨هـ عن ستة وخمسين عاما ودفن في دار الخلافة، وقد تم نبش القبر بناء على طلب أهله وسلم إليهم ودفنوه، ثم طلبت زوجته دفنه في دارها وفنبشوا قبرة وتم دفنه في دار زوجته، وتنوه جملة من المصادر التاريخية بأن ابن مقلة تقلد الوزارة ثلاث مرات ودفن بعد موته أيضاً ثلاث مرات ( البابا، ١٩٩٤).

وتقول سهيلة الجبوري (١٩٦٢) في كتابها الموسوم بالخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق " وقال أبو عبد الله الزنجي الكاتب من خط ابن مقلة عندما سئل ما تقول في خط ابن مقلة؟ قال ذاك نبي فيه، أفرغ الخط في يده كما أوحى إلى النحل في تسديد بيوته لكن حساد الخطاط ابن مقلة لم يتركوه وشأنه حيث سجن وقطع لسانه". وأيضاً يقول وليد الأعظمي في كتابة " تراجم خطاطي بغداد المعاصرين " عندما آلت الخلافة إلى الراضي بالله فعاد ابن مقلة وزيرًا، وقد ندم ابن مقلة على تقربه من الحكام والسلاطين، حيث خسر الخط العربي بمحنته خسارة كبرى، ولو أنه تفرغ لفن الخط وابتعد عن الحكام والأمراء لكان خيراً له وللفن الإسلامي والأدب الرفيع" (الجبوري، ١٩٩٨).

كان العرب قديماً يستعملون الخط الكوفي في كتابة المصاحف الشريفة إلى أن ابتكر لهم ابن مقلة الخط النسخي الفني فاستخدموه في كتابة المصاحف وذلك لجمالة من جانب ومن جانب آخر لسهولة كتابته ووضوحه فاعتمدوه في كتابة المصاحف الشريفة خلال العصر العباسي، ولقد أكتفوا العرب بكتابة أسماء سور القرآن الكريم بالخط الكوفي وكامل المصحف يكتب بخط النسخ (البابا، ١٩٩٤). كما أنه كتب المصحف الشريف مرتين أكمله

في الأولى المدة الثانية كتب تسعة وعشرون جزءًا أكمله بعده ابن البواب، ولقد كتب ابن البواب الجزء الأخير من القرآن الكريم وهو الجزء الثلاثين (البنهسي، ٢٠٠٤).

برع ابن المقلة في قلم الرقاع والتوقيعات، ولقد تخرج عدد من كبار الخطاطين عنه نذكر منهم: السمساني، وابن أسد وعنهما تخرج ابن البواب (البنهسي، ٢٠٠٤). كما أنه ابتكر القواعد لكل حرف من حروف الخط العربي وسمي الخط الموزون. لم يكتفي ابن مقلة بابتكار قواعد جديد للخط بل يعود إليه الفضل في وضع القواعد المهمة في تطوير الخط العربي وقياسه وأبعاده وأوضاعه ويعتبر المؤسس الأول لقاعدتي الثلث والنسخ وعلى طريقة سار الخطاطون من بعده. فضلاً عن أنه هو من أطلق على قلم النسخ اسم البديع وأول من بلغ بخط الثلث وخط النسخ مبلغ الكمال والجمال في الكتابة، كما أنه قام بوضع القواعد الخطية الأساسية للخط العربي وابتكر خط لين الحدود سماه خط النسخ ووضع قواعد السطور (الجبوري، ١٩٩٨). ويرى قدامى المؤرخين للخط العربي أن علي بن مقلة هو الذي وضع خط النسخ في العهد العباسي، بيد أن بعض ممن عنوا بدراسة الخط العربي في العصر الحديث كالدكتور إبراهيم جمعة لا يقبل بهذا الرأي ويجزم بأنه رأي خاطئ، وحجته في ذلك أن الخط اللين المدور كان معروف قبل ابن مقلة وحتى قبل الإسلام، ولا يوجد شك في أن مقلة أعرف الناس ببشاعة خط التحرير، ولكنه يتصرف إلى الينوع الصافي إلى الخط الكوفي فيدرسه ويطوره ويضبطه بقواعد ثابتة ليطلع علينا بخط لين متزن هو خط النسخ الجميل (البابا، ١٩٩٤).

وتذكر المصادر التاريخية بأن ابن المقلة هو من وضع أسس وقواعد فن الخط التي لم يسبقه أحد إلى ذلك لأنه وضع للخط النسب الفاضلة وفيها ينسب ابن مقلة جميع الحروف إلى الدائرة والتي قطرها حرف الألف، ويعد أول من استخلص ميزان الخط (الصايغ، ١٩٨٨م،ص٦٥). بالإضافة إلى ذلك قام الوزير ابن المقلة بوضع قواعد مفصلة ودقيقة في كيفية رسم الحروف وكتابتها ونسبها المفصلة، كما جعل لكل حرف شكلاً خاصاً وقد نسبه من حيث طوله وحجمه واتخذ حرف الألف أساساً لرسم بقية الحروف، وجعل النقطة وحدة قياس الألف"(الطيباوي، ١٩٧٩م، ص٩٠).

فضلا عن ذلك إن ابن المقلة وضع أهم قاعدة للخط العربي وتعتبر القاعدة الذهبية التي يقوم عليها علم الخط العربي ألا وهي " حسن التشكيل وحسن الوضع". أما بالنسبة لحسن التشكيل فقد قال ابن المقلة بأن الحروف تحتاج في تصحيح أشكالها إلى عدة أشياء أساسية من بينها: التوفية: بأن يعطي كل حرف من الحروف العربية مقداره من الخطوط سواء كان مقوس، منحني، منبسط، مسطح، الإتمام: بأن يأخذ كل حرف حقة من الأقدار من طول، قصر، رقة، غلظة، الإكمال: بأن يحصل كل حرفة على حظه من الهيئات التي يجب إن يكون عليها من انتصاب، انكباب، استلقاء، الإشباع: بأن يأخذ كل حرفة حظه من صدر القلم حتى يتساوى فلا تكون بعض الجائحة أدق ولا أغلظ من بعض، الإرسال: بأن يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس ولا توقف ( زين الدين، ١٩٧٤م،ص ١٧٥) وهذه الأشياء الخمسة هي القاعدة الأساسية فيما يتعلق بالشطر الأول من القاعدة المتعلق بحسن التشكيل.

أما فيما يتعلق بحسن الوضع للحروف فقد ذكر ابن المقلة عدة شروط أساسية منها: الترصيف وتعني وصل كل حرف متصل إلى حرف، التأليف وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره، التأليف وهو جمع كل حرف غير متصل بغيره على أفضل ما يكون. التسطير وتتمثل في إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصبح سطراً وحداً، وأخيراً التنصيل ويعرف بأنه مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة (زين الدين،١٩٧٤م، ص ١٦٣). كان لآراء الوزير ابن المقلة العامل الأساسي والأثر الكبير في اكتساب الخطوط العربية الخصائص والصفات الجمالية التي أعطت للخط الرشاقة والحسن والمرونة، مع العلم بأن الخطاط العباسي الوزير ابن مقلة هو من وضع قواعد هذا الخط وأول من هندس حروفه وأتقن أشكالها وتبعه ابن البواب ثم ياقوت المستعصمي وهما الذين أسهموا بشكلٍ فعال في تطويره واستقرار أشكال حروفه (حميدي، ٢٠٠٥م، ص٥٤).

ومما يذكر أن ابن مقلة كان شاعراً وسياساً وكاتباً ومهندساً وضليع في علم الهندسة على وجه الخصوص، وقد سار الإعجاب بجمال خطه في كتب التاريخ والأدب، كما أنه قد بلغ

مرتبةً عاليةً في فن الخط العربي ونبغ نبوغاً عظيماً وانتهت إليه جودة الخط وحسنه (الصايغ، ١٩٨١م، ص٤٣). ومما يجدر الإشارة إليه بأن ابن المقلة ترك لنا كتاب مسوم (رسالة في الخط والقلم) استخلص فيها التراث الكتابي والخطي المتمثل بآراء وجهود سابقية ومعاصرية المعنيين بالخط وبالتحديد أستاذه المحرر البربري (حنش،٢٠٠٨). إن ابن المقلة ترك أضافة في فن الخط العربي وأثراً تاريخاً لا ينسي على مرّ التاريخ.

لوحة خطية كتبت بيد الخطاط العباسي الوزير ابن مقلة

/ http://artcalligraphy.net/ar

فبعد الخطاط العبقري ابن المقلة يذكر لنا التاريخ خطاطًا عباسيًا آخر حصل على نفس مقدار شهرت الوزير ابن مقلة وهو الخطاط علي بن هلال بغدادي، اشتهر باسم ابن البواب لأن أباه كان بواب دار القضاء في بغداد، ولقد تعلم الخط على يد الخطاط محمد ابن أسد ومن ثم عند محمد السمساني وكلاهما تلاميذ ابن المقلة (البابا،١٩٩٤). وهو من أشهر الخطاطين الذين ساروا على نهج ابن مقلة، بالإضافة إلى تطوير أسلوبه الخاص به في الكتابة.

كان ابن البواب يعمل خطاط في جامع المنصور ببغداد وكان حافظًا للقرآن الكريم، طور ابن البواب خط النسخ وأعطاه روحاً فنيةً جديدة، ووضع المقومات الفنية التي كان الخط المنسوب لابن مقلة بحاجة إليها، وله نظرة فنية تتجسد في انتظام وحركة خطوط الأقواس العظيمة التي أنشأها ويمكن أن ندعوه حقاً مؤلف الخط المنسوب (الجبوري، ١٩٩٨م،ص٩٤). إلى جانب أنه استخدم خط النسخ في نسخ القرآن فيما استعمل خط الثلث في كتابة عناوين الصور القرآنية، أهتم اهتماماً بالغًا بعملية تزين وتذهيب المصاحف الشريفة، مع العلم أن ابن البواب ليس خطاطًا بحسب بل هو فنان صاحب ذوقً رفيعً في كتاباته وعلى وجه التحديد في نسخه للقرآن الكريم ويقول الداني " أن ابن البواب هو شيخ خطاطي العصر العباسي، وله أثارًا جليلةً، وكانت خطوطه تُباع بأثمانً عاليةً، أمّا كتابته للمصحف الشريف، فقد بلغت قمة إجادته فيه" (الجبوري، ١٩٩٨م،ص٩٤).

وتنوه المصادر التاريخية أن ابن البواب نسخ القرآن الكريم بيده أربعًا وستين مرة منها نسخة بالخط الريحاني أهدها السلطان سليم الأول العثماني إلى جامع "لا له لي" ومن خطه ديوان سلامة بن جندول في مكتبة آيا صوفيا باستانبول، وأيضًا ثمة نسخة أخرى من القرآن الكريم محفوظة في مكتبة "شستر بيتي" بمدينة دبلن بأيرلندا، وأيضاً إن ابن البواب قد نسخ القرآن الكريم بالخط النسخي وأبدع في كتابته وتزويقه وتذهيبه وتحليته بالزخارف النباتية والهندسية. بعبارة أخرى كان ابن البواب مدرسة في الخط العربي وصلت أعلى مراتب الأبداع الفني وهذا ما يؤكده جملة المصاحف التي خلفها بخط يده الكريمة (القيسي، ٢٠٠٨).

مصحف شريف بخط ابن البواب مكتوب بالخط النسخي القوي المنتظم ، نسخة طبق الأصل من المخطوط الموجود في مكتبة شستر بيتي

http://www.bibalex.org/Manuscriptscenter/ar/manuscript/displaymanuscript.aspx?manid=11

ويذكر كمال بابا (١٩٩٤م، ص ٨٩) " بأن ابن البواب أهتم بجمع خطوط ابن مقلة في النسخ والثلث ونقحها وعلا بها إلى مرتقى رفيع من الكمال، فاستقام بفضلة أسلوب ابن المقلة وخلد اسمه، ولقد نظم ابن هلال قصيدةً رائعةً ضمّنها قواعد علم الخط التي بلغ عددها ثمانية وعشرين بيتاً". بدأ ابن البواب مسيرة الفنية كمزوق للدور ثم الكتب وأخيراً أمتهن الخط، ولقد جود الخط وأوصله إلى جمالية متقدمة عما كانت عليه، كما أكمل المصحف الذي كان قد كتبه ابن المقلة ولم يكمل الجزء الثلاثين منه، وكما ذكر آنفا بأن مكتبة شستر بيني تحتفظ بواحدة من تلك النسخ بخط ابن البواب، لقد تخصص ابن البواب في جملة من الخطوط العربية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: خط الثلث وخط الرقاع والريحاني، والخط الكوفي (الجبوري، ١٩٦٢).

ولقد قلده الكثيرون ولُقب "بقلم الله في أرضه" فضلاً عن أنه رسّخ قلم النسخ والتوقيع وأبدع في قلم الثلث والريحان وميّز قلم المصاحف، والشاهد على ذلك هو المصحف الشريف

الذي خطّه بيده في متحف شستر بتي في مدينة دبلن ( البنهسي، ٢٠٠٤م، ص ٥٦). إن القواعد التي وضعها ابن البواب في تحسين الخط العربي وتجويد حروفه وتركيب سطوره ثابتة إلى يومنا هذا( القيسي، ٢٠٠٨م،ص ٨٢). بعبارة أخرى، إن ابن البواب قد فاق المتقدمين وأعجز المتأخرين وإليه ينسب ابتداع الخط الريحاني وخط المحقق، فضلاً عن ذلك، فلقد أنشأ مدرسة للخط العربي عملت إلى عهد ياقوت المستعصمي وسارت شهرته سير المثل ( البابا، ١٩٩٤).

إلى جانب اهتمام ابن البواب بالخط العربي وقواعده، فأن لابن البواب العديد من المؤلفات الموجود معظمها في المكتبات التركية، ونذكر منها على سبيل المثال: بحث في الآداب والحكم، شعر سلامة، مجموعة قصائد لشعراء، ورسالة دعاء.

١- بحث في الآداب والحكم: كتب في نهايته اسمه وتحته هذه العبارة ( قلم الثلث طريقة الأستاذ الجليل علي بن هلال والمعروف بابن البواب ) (القيسي،٢٠٠٨).

٢- شعر سلامة: محفوظ في خزانة الكتب قصر بغداد، بمتحف طوبقا بوسراي محفوظ قياسه ٤٢ x ٣٢ وعنوانه شعر سلامة واستهل الكلام فيه بعد البسملة قال سلامة ابن جندل وفي آخره بالذهب كتبه علي بن جندول وفي شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مية حمدا لله ومصليًا على نبيه محمد وآله (القيسي،٢٠٠٨).

٣- مجموعة قصائد لشعراء : عددين منهم شعر سلامة ابن جندول تتكون من ست صفحات ونصف صفحة، وقد كتب في كل صفحة منها ثلاثة أسطر بقلم الثلث وكتب بينها أسطر بقلم النسخ وكتب قصائدها المنتهية بالقاف بلون أحمر وتخللها أزهار منقوشة وكتب في آخرها ( كتب علي بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مية حمدا لله على نعمه مصليا على نبيه محمد وآله) (القيسي،٢٠٠٨).

٤- رسالة دعاء: روي عن زيد بن ثابت بخط علي بن هلال والمخطوط يتألف من سبعة وعشرين صفحة وأربعة أسطر وقياس الصفحات ١٩x ١٤ سم وجاء إمضاء الكاتب

كما يلي ( كتبه علي بن هلال حامد الله تعالى على نعمه ومصليا على نبيه محمد وآله وحسبنا الله ونعم الوكيل) (القيسي،٢٠٠٨).

ويقول الجبوري (١٩٩٨م، ص ٩٥) " إن الخطاط العبقري ابن البواب قد أرسى قواعد الخط العربي، وهذّب حروفه، وأخذ في تراكيب السطور، وبقيت قاعدته ثابتة إلى اليوم، ولم يصل إلى مرتبته أحد، حتى برز الخطاط البغدادي ياقوت المستعصمي فجود طريقة ابن البواب وحسنها وهذبها في القرن السابع الهجري". ويعود الفضل لابن البواب في إرساء قواعد الخط العربي في شكلها النهائي على أساس رياضي صرف، أي بالكشف عن قيمته التجريدية البحتة في الفكر الأبجدي (أل سعيد، ١٩٨٦م، ص ٥٧٠). وبعبارة أخرى، اعتبر الخطاط العباسي ابن البواب مدرسة فنية في فن الخط العربي استمرت حتى بعد وفاته في بغداد الذي كان يوم الخميس الثاني من شهر جماد الأول سنة ٤٢٣هـ ودفن في مقبرة باب حرب بجوار الإمام أحمد بن حنبل (القيسي،٢٠٠٨). ويقول ناهض القيسي (٢٠٠٨) " كان لوفاته وقع على المعاصرين له من المثقفين ومحبي الفنون بصورة عامة وفن الخط بصورة خاصة وقد رثاه الشاعر المرتضي، وقد بقيت القواعد التي أرساها ابن البواب في تجويد الخط ثابتة إلى يومنا هذا آخر في تهذيب الحروف وتركيب السطور".

وثمة مبدع آخر في فن الخط العربي من رواد القاعدة البغدادية، وهذا الخطاط المبدع سجل له التاريخ أعماله ومخطوطاته هو أبو الدر جمال الدين والمعروف بياقوت المستعصمي الكاتب. وهو أحد مماليك الخليفة العباسي المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين عاش في بغداد في القرن السابع الهجري (الجبوري،١٩٩٨م،ص ١٠١). وأصله من بلاد الروم من مدينة أماسي. ويعتبر المستعصمي خاتمة عظماء الخطاطين في عصور الحضارة الإسلامية، وتذكر المصادر التاريخية أن ياقوت المستعصمي أخذ الخط العربي عن ابن بواب بالواسطة إذ ولع بخطه فعكف على قطعة يقلدها ويحاكيها مدة من الزمن حتى برع في الكتابة بضروب الأقلام كلها وبخاصة الثلث (القيسي،٢٠٠٨). كما أنه تمّيز وأبدع عن الوزير ابن مقلة وابن البواب بأنواع خطوطه وأساليبه في الكتابة، فضلاً عن تميزه برشاقة أسلوبه في كتابة الحروف ودقة قلمه. وهذا ما يؤكده عفيف بنهسي (٢٠٠٤) بقوله " أن ياقوت المستعصمي

اقتدى بابن البواب وكان مولعا بخطه، مقلدا له خاصة الثلث حتى ختم هذا القلم وأكمله وأصبح إمام الخطاطين بعده". بالإضافة إلى استنساخه لعددٍ من المصاحف وتأليفه عددٍ من الكتب، وقد ذكر المؤرخون في كتاب أسرار الحكماء " وقد بلغ ياقوت المستعصمي بالخط العربي غاية الجمال والإتقان والبراعة في مداخلات الحروف وتشكيلاتها، وترك لنا جُملة من نماذج خطة تُعد مدرسةً جديدةً متكاملةً لصياغة وتجويد الخط العربي". وثمة مقولة مشهورة لياقوت المستعصمي "إن جودت قلمك جودت خطك وإن أهملت قلمك أهملت خطك" (الألوسي، ٢٠٠٨م، ص ٣٧). وإليه يُنسب الفضل في تجويد الأقلام الستة: الثلث، النسخ، الريحاني، المحقق، التوقيع، الرقاع ويكمن السر في قطة القلم بمقاسات مختلفة أدّت إلى اختلاف أساليب الخطاطين في الكتابة على مرّ العصور (الألوسي،٢٠٠٨). وتبين سهلية الجبوري (١٩٦٢م، ص ٧٩) بما معناه: أن ياقوت برع في كتابة الأقلام جميعها وبصفة خاصة الثلث، وأنه كتب العديد من المصاحف بالخط النسخ والثلث والمحقق الموجودة في خزائن الكتب في مدينة إستنبول والمزخرفة بزخارف إسلامية في غاية الجمال، ويُعد ياقوت بداية إبداعية جديدة لفن الخط العربي وبلغت شهرة الأفاق ولقب "بقلبة الكُتاب"، حتى كان الناس قديماً إذا استحسنوا خطاً قالوا ياقوتي( القيسي، ٢٠٠٨م،ص ٨٣). بعبارة أخرى، إن الخطاط العظيم ياقوت أبدع بخط الثلث حتى ختم هذا القلم وأصبح إمام الخطاطين فيه. وتشير المصادر التاريخية بأنه قد تتلمذ على يده شيوخ عصره في المدرسة المستنصرية وبرع في الخط واعتبر آنذاك أشهر خطاطي عصره وأصبح من أئمة المجودين في حسن الخط وقواعده (القيسي،٢٠٠٨).

ويقول كمال البابا (١٩٩٤) " يرى المتأمل في خطوطه أنها بلغت من الكمال والحسن حدًا جعلت منه رائداً لمن جاء بعده من الخطاطين فساروا على نهجه وطريقته وكانت كتابته في الثلث والنسخ الأساس الذي جرى عليه كبار الخطاطين العثمانيين أمثال حمد الله الأماسي والحافظ عثمان ومصطفى الراقم". وتذكر المصادر التاريخية بأن ياقوت كتب ألف مصحف ومصاحف مزخرفة بزخارف جميلة، وقد ذكر المقريزي أن بمدرسة الاشراف شعبان بن

حسن بن محمد بن قلاوون في القاهرة عشرة مصاحف بخط ياقوت (البابا،١٩٩٤). ولقد اجمع المؤرخون بأن وفاة المستعصمي كانت سنة ٦٩٨هـ بمدينة السلام ببغداد.

مصحف مكتوب بخط ياقوت المستعصمي (مخطوط سوذبيز) (منصور ،٢٠١٨)

ويؤكد مؤرخو الخط العربي بأنه يمكن أن نؤشر تاريخيا لبداية التطور الحضاري الأوسع للخط العربي من المركز الحضاري الإسلامي الأول له بغداد إلى المراكز الحضارية الإسلامية الأخرى، وبروز الاتجاهات الأسلوبية المتأثرة بالخصوصية الثقافية لهذه المدن بيئاتها الاجتماعية (حنش،١٩٩٠). وهذا ما يؤكده إدهام حنش (١٩٩٠) بقوله " تمثلت هذه المدرسية في انتقال الخط من الوحدة في الرؤية الجمالية والأسلوب الفني والأداء الوظيفي النابعة تحديداً من المدرسة البغدادية أو العراقية التي تعارف عليها مؤرخو الخط في نتاج أقطاب هذا الفن الأوائل: ابن مقلة ٣٢٨هـ وابن البواب ٤١٣هـ وياقوت المستعصمي ٦٩٨هـ ". ومختصر القول بناء على ما سبق إيراده أن أبرز التحولات التاريخية لنضج واكتمال الصفات الجمالية والفنية والوظيفية للخط العربي تنطلق من المدرسة البغدادية، ويمكن أن ندلل على هذا النضج والتكامل الفني للخط العربي بأكثر من إشارة فنية أولها: تميز الجهود الخطية

البغدادية في تطوير وتجميل أشكال الحروف العربية من اليبوسة والزوايا الحادة إلى الليونة والتقوير، وذلك بناءً على النظرية الفنية العربية الأولى للخط العربي القائمة على النسبة الفاضلة لأشكال الحروف وبخاصة الثلث التي أسسها ابن المقلة (حنش،١٩٩٠). ويشير إدهام حنش (١٩٩٠) بما معناه: أن الخطاطين المجودين الأوائل تركوا بصماتهم في فن الخط العربي بشكل واضح ومؤثر، كابن البواب الذي عرف بالأستاذ وشاعت طريقته في أداء الأقلام الستة وغيرها، وأيضاً ياقوت المستعصمي الذي نقل الأداء الخطي لهذه الأقلام الستة تعيينها وتحديد قواعدها إلى مستوى أكثر سرعة وأرشق شكلاً وأوسع وظيفةً من خلال التأكيد على طريقة قطة قلم الكتابة بناءً على ما يناسب كل نوع من أنواع الخط العربي من الجانب الهندسي والوظيفي.

وبناء على ما سبق طرحة من جملة المصادر والمراجع التاريخية تؤكد الباحثة بأن الخط العربي حظي بعناية فائقة من الاهتمام والارتقاء والتجميل والتجويد من قّبل أبرز الرواد المجودين الأوائل ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي. وأيضاً تبين للباحثة أن الخطاطون الرواد بذلوا قصارى جهودهم في تحسين وتجميل وتجويد الخط من جانب ومن جانب آخر بأن هؤلاء الخطاطون هم الذين ينسب إليهم الفضل في تجويد وتطوير وتعقيد جمالية الخط العربي ووضع قواعده ونسبة الفاضلة، بالإضافة إلى قيامهم بتجويد أنماط الخطوط وأقلامها وجعلوا من العصر العباسي أحد العصور الذهبية لازدهار فن الخط العربي بقواعده وأنواعه وأقلامه. وهذا ما يؤكده محمود شكر الجبوري (١٩٩٨م، ص ٧٣) حيث يقول "اختلط بنو العباس بغداد، وترقت فيها الخطوط إلى الغاية لما ازدادت في العمران، وكانت دار الإسلام، ومركز الدولة العربية، وخالفت أوضاع الخط ببغداد، أوضاعه في الكوفة، في الميل إلى إجادة الرسم وجمال الرونق وحسن الرواء، واستحكمت هذه المخالفة في الإعصار إلى أن رفع رايتها ببغداد أبو علي بن مقلة الوزير، ثم تلاه في ذلك علي بن هلال والشهير بابن البواب، وبُعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة حتى انتهت إلى المباينة". ولقد ظهرت مدارس خطية في الكوفة نُسب إليها الخط الكوفي إلى جانب مدرسة

بغداد والتي شهدت بدايات "الأسلوبية الفنية". بعبارة أخرى، أن بداية الأسلوبية الفنية في الخط العربي كانت على يد أعلام الخط العربي الأوائل ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي، وأن لكل واحد منهم أسلوبه الفني الخاص به والمميز في أداء العمل الخطي (الجبوري، ١٩٩٨).

## الاستنتاجات

ثبت من خلال الدراسة بأن الخطوط العربية تطورت وتنوعت على أيدي الخطاطين على مرّ العصور الإسلامية وبلغت مبلغاً من الجمال والإجادة وذلك لما بذلوه هؤلاء الخطاطين من جهود مضنية للارتقاء بجمالية وبجودة الخط العربي. تبين للباحثة بأن جميع هؤلاء الخطاطين العباقرة أبدعوا أيمّا إبداع في إتقان رسم قواعد الخط العربي بأسلوب فني تشكيلي جمالي يشهد لهم الزمان والمكان، فضلاً عن أن لكل واحدٍ من هؤلاء الخطاطين العظماء بصمته الخاصة وأسلوبه المميز الذي تفرد به بالرغم من الحفاظ على قواعد الخط ونسبة. وثمة نماذج تُشيد بمدى جمال الأعمال الخطية واللوحات والمصاحف الشريفة التي خلفوها من بعدهم والتي تركت تاريخًا ثريًا عبّر الزمان ودليلاً قاطعًا على تفاني الخطاط المسلم وشغفة لفن الخط العربي الأصيل. كما اتضح للباحثة أن الخطاطين المجودين الرواد ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي كان لهم دور حيوي (معرفي وفني ووظيفي) في تقعيد وترسيخ بناء جمالية الشكل في الخط العربي على أساس النسبة الفاضلة. كما وجدت الباحثة أن ابن المقلة هو من وضع الصفات القياسية الهندسية للحرف، وجودها وحسنها إلى درجة رفيعة من الجمال والكمال والروعة ، إلى جانب ابن البواب وياقوت المستعصمي اللذان أرسوا قواعد هذا الفن على أسسٍ راسخةٍ متينة جعلت من الخط العربي فنًا عريقًا لا مثيل له من حيث الجمال والكمال.

## المراجع:

ندیم، ابن. (١٩٧١) .الفهرست. تحقيق رضا تجدد، دار الشؤن، طهران.

حسن، أل سعيد شاكر. (١٩٨٦). الخط العربي جماليا وحضاريا. مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، العدد ٤، المجلد ١٥، العراق.

البابا، كمال. (١٩٩٤). روح الخط العربي. دار لبنان للطباعة والنشر، لبنان.

الجبوري، ياسين. (١٩٦٢). الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق. المكتبة الأهلية، مطبعة الزهراء، بغداد، العراق.

الجبوري، محمود شكر. (١٩٩٨). الخط العربي والزخرفة الإسلامية-قيم ومفاهيم. دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد، الأردن.

الجبوري، سهيلة. (١٩٦٢). الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق. مطبعة الأديب، بغداد، العراق.

الصايغ، يوسف. (١٩٨١). تحفة أولو الألباب في صناعة الخط والكتاب. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

الصايغ، سمير. (١٩٨٨).الفن الإسلامي-قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية. دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الطيباوي، عبد اللطيف. (١٩٧٩). تاريخ العرب والمسلمين. دار الأندلس للطباعة والنشر، المغرب.

الحموي، ياقوت. (١٩٠٠). معجم البلدان. مطبعة القاهرة، مصر.

القيسي، ناهض عبد الرزاق. (٢٠٠٨). تاريخ الخط العربي. دار المناهج، القاهرة.

البهنسي، عفيف. (٢٠٠٤). علم الخط والرسوم. دار الشرق للنشر، بيروت، لبنان.

الألوسي، عادل . (٢٠٠٩). الخط العربي: نشأته وتطوره. مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.

حميدي، عبد الجبار. (٢٠٠٥). الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية. دار الشؤون مملكة الأردن.

حنش، إدهام . (١٩٩٠). الخط العربي وإشكالية النقد الفني. مكتبة الأمراء للنشر والدعاية والإعلان، عمان، الأردن.

درمان، مصطفى أغلو. (١٩٩٠). فن الخط-تاريخه ونماذج من روائعه على مر العصور. ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، تركيا.

زين الدين، ناجي. (١٩٧٤). مصور الخط العربي. مكتبة النهضة ، بيروت.

منصور، نصار. (٢٠١٨). الخطاط ياقوت المستعصمي: دراسة تحليلية للخصائص الفنية لأسلوبه في الخط الريحاني. المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ١٢، العدد ٢.

ياسين، بن حسين. (١٩٩٢). لمحة المختطف في صناعة خط السلف. تحقيق هيا الدوسري، مؤسسة الكويت، الكويت.

http://www.bibalex.org/Manuscriptscenter/ar/manuscript/displaymanuscript.aspx?manid=11

http://artcalligraphy.net/ar/